

أدوات لمكافحة العنصرية في ممارسة الحقوق الثقافية



... عندما تصل إلى مكان لا تعرف فيه أحداً تشعر وكأنك غير موجود، وتجد نفسك في رحلة دائمة للبحث عن اسمك، وهويتك، والتساؤل عن ماذا تفعل.»

لاورا وخوسيه لويس وابنهما لويس خوسيه، البالغ من العمر ٨ سنوات، عائلة كولومبية وصلت إلى إقليم الباسك في أبريل ٢٠٢٠. وعلى الرغم من أن رحلتهم للهجرة كانت مخططة إلى حد كبير، فإن تجربتهم تكشف أن الانتقال من بلد إلى آخر يرافقه طيف واسع من التحولات الفردية والجماعية التي تتجاوز أي توقعات مسبقة. يشرحون: «لقد وضعنا خطة محدّدة لنتمكن من الهجرة بأكثر قدر ممكن من التحكم في الظروف.»

لاورا طبيبة أسنان، وخوسيه لويس ممرض، وقد أتاح لهما ذلك الهجرة لأسباب دراسية، مما جعلهما يحملان تأشيرة طالب. وكغيرهما من كثير من الأسر المهاجرة، كان هدفهما الأساسي هو تحسين جودة حياة ابنهما. ومنذ لحظة وصولهما، تعرّضا لأشكال من التمييز عند محاولة الحصول على خدمات أساسية مثل الرعاية الصحية أو السكن، بسبب الصور النمطية الشائعة حول المهاجرين في أوروبا. كما اصطدما بصعوبات في الوصول إلى عمل لائق يعترف بمؤهلاتهما المهنية؛ إذ إن معادلة شهادة خوسيه لويس ما تزال قيد المعالجة، في حين يتوجب على لاورا، بحكم طبيعة مهنتها، متابعة دراستها عامين إضافيين في إحدى جامعات إقليم الباسك من أجل معادلة شهادتها. ومع ذلك، تعمل هذه الأسرة، شأن معظم المهاجرين، في مجالات الخدمة والرعاية المنزلية. وفي موازاة التحديات العملية، تعيش لاورا وخوسيه لويس وابنهما حالة من الازدواج الثقافي ما بين الانتماء لثقافة بلدهم الأصلي ومحاولة الاندماج في واقع جديد. ويعبّر خوسيه لويس عن هذه التجربة بقوله: "ثقافة البلد الأصل متجذرة في الإنسان، وتظل جزءاً منه، لكنها تواجه ثقافة مختلفة تماماً في المهجر". ويبرز هذا القول أن الثقافة لا تُترك عند الهجرة؛ بل ترافق صاحبها، وتتكيّف، وتبني جسوراً بين ممارسات ولغات ودلالات تتعايش معاً وتكتسب معاني جديدة.

وفي خضم هذه العملية، تحتلّ الحقوق الثقافية موقعاً محورياً. فهذه الحقوق، التي تُفهم على أنها القدرة على المشاركة بحرية في الحياة الثقافية وصور التقاليد الخاصة، تكون في الغالب محكومة بعقبات لغوية أو اقتصادية أو اجتماعية. وبالمثل، تتحول

عناصر يومية مثل الطعام أو الموسيقى إلى وسائل للتعبير عن الهوية واستراتيجيات للمقاومة الثقافية. وتقول لورا: "نودّ أن نلتقي بكولومبيين آخرين، وأن نقيم حفلة صغيرة في ديسمبر، لكننا نحاول أيضًا الاندماج هنا". ويبيّن هذا السعي لتحقيق التوازن أن ممارسة الحقوق الثقافية تستلزم دمج الانخراط في المجتمع المضيف مع تطوير أمط جديدة للعيش المشترك والاعتراف الثقافي المتبادل، بما يسمح بالحفاظ على الخصوصية الثقافية.

ويضيف خوسيه لويس: "نجد أنه من المدهش أن الجميع يأخذ قيلولة من الثانية إلى الرابعة؛ فنحن نأتي من بلد يتوجب عليك فيه العمل باستمرار، بينما يُعدّ هذا هنا جزءًا من جودة الحياة". ويتيح هذا المثال توضيح مدى اعتبار وقت الفراغ والراحة جزءًا أساسيًا من مكونات الحقوق الثقافية. فبالنسبة لهذه الأسرة، يمثل الترفيه «فترة تمارس فيها ما تحب، وتمنحك السكنية، أو حتى لا تقوم فيها بأي شيء». ومع تقدّم عملية تكيفهما، اكتشفا أن المجتمع الباسكي يمنح أهمية مختلفة للراحة وجودة الحياة. وليست هذه الملاحظة تفصيلًا ثانويًا؛ إذ تكشف عن إعادة تصور للوقت، تسمح بالانتقال من وتيرة العمل المتسارعة إلى تقدير الرفاه اليومي.

تشكل شهادة هذه العائلة الكولومبية جزءًا من تأملات أكثر من ٧٧ مشاركًا في جلسات النقاش وورش عمل «الكومبيا المناهضة للعنصرية»، وهي مبادرة احتفالية وترفيهية بالأساس تجمع بين لحظات نظرية تهدف إلى تعزيز النسوية من منظور كولونيالي نقدي يتناول إشكاليات العنصرية والذكورية والطبقية وتداعياتها، وإمكانيات إحداث شرح داخل هذا النظام.

وقد أتاحت هذه الأنشطة، التي نُظمت في المقاطعات الثلاث - أرابا وجيبوثكوا وبيزثايا - فتح حوار حول تجارب متنوّعة، حيث جرى الوقوف عند الاختلافات، وكذلك عند أوجه التشابه التي تتيح تحديد الأفكار الرئيسية المتعلقة بالتمتع بالحقوق الثقافية والوصول إليها بالنسبة للاجئين والمهاجرين، وكثير منهم ينتمون إلى أعراق متعددة. وهذا يدعونا إلى إعادة التفكير في السياسات والممارسات الثقافية انطلاقًا من منظور حقوق الإنسان. ومن المهم أيضًا الإقرار بأن التمييز العنصري لا يطال اللاجئين والمهاجرين فقط، بل يؤثر كذلك في السكان الأصليين، مما ينعكس على العلاقات الاجتماعية والتمثيلات الثقافية. كما نؤكد أن الهجرة لا ينبغي أن تُفهم حصريًا كعملية تكيف فردي، بل كفرصة لبناء مجتمعات أكثر تنوعًا وشمولًا وتعاطفًا.

وفي هذه الورشات - جلسات النقاش، نطرح أسئلة أساسية لتحفيز الحوار والتفكير حول ثلاثة محاور: ١. كيفية فهم الثقافة والحقوق الثقافية والترفيه ووقت الفراغ

للأفراد. ٢. ماهية العوائق التي تحول دون الوصول إلى هذه الحقوق الثقافية (الأمكان، الأنشطة، وغيرها). ٣. الاستراتيجيات الفردية والجماعية الكفيلة بضمان الوصول إليها. والحديث في هذا الموضوع يلامس بلا شك أوتارًا حساسة لدى الناس، إذ تتقاطع فيه قصصهم الفردية المرتبطة بالهجرة، حيث تتكرر تجارب متشابهة تُبرز الحاجة الملحة إلى أن تكون هذه المساحات مزودة بمنهجيات لا تقوم فقط على المشاركة، بل توفر أيضًا الرعاية والدعم من منظور تربوي

ويُظهر الربط بين هذه الشهادات الطابع المنهجي للعوائق؛ فبالرغم من اختلاف الأسباب والأشكال والبلدان الأصلية، تبقى آليات الصور النمطية والتمييز وقيود الوصول متشابهة. ونود التأكيد على أن العائق الأكبر أمام ممارسة حقوق اللاجئين والمهاجرين في الدولة هو قانون الأجانب، الذي يعزز مقارنة تمييزية تمس جميع جوانب حياة المهاجرين، بما في ذلك التمتع بالحقوق الثقافية، كما يعيد إنتاج الصور النمطية السلبية والنظرة النفعية للمهاجر. وإلى جانب ذلك، جرى تحديد العوائق التالية خلال الجلسات:

- على الصعيد اللغوي: تطرح هذه الحالة تحديًا للسياسات الثقافية والتعليمية في السياقات متعددة اللغات، حيث ينبغي الموازنة بين حماية اللغة الرسمية الثانية وبين إدماج المهاجرين وضمان رفاههم.
- العوامل الاقتصادية: عدم توفر موارد مالية كافية، وهو أمر يرتبط بانعدام الاستقرار الوظيفي للمهاجرين، إذ يشغلون غالبًا أدنى فئات العمل رغم توفرهم على وضع نظامي قانوني.
- العوامل العاطفية: غياب الدعم في التعامل مع حزن الهجرة وإحساس عدم الانتماء في البلد المضيف. كما يظهر شعور بالذنب تجاه الاستمتاع بوقت الفراغ، لأن المهاجرين - كما يعبرون - معتادون ثقافيًا على العمل المتواصل: “نجد صعوبة كبيرة في ذلك ويقودنا إلى النقد الذاتي: أنا لا أفعل شيئًا لنفسي، أنا لا أعمل”.
- غياب وقت الفراغ: ساعات العمل الطويلة، والوقت المستنزف في تدبير الإجراءات الإدارية الحيوية المرتبطة بعملية الهجرة، والمتعلقة بشؤون الأجانب وبناء حياة جديدة في مكان آخر، بما في ذلك الصحة والتعليم وغيرها.

يقترح هذا الكتيّب، إذن، جولة داخل تأملات اللاجئين والمهاجرين الذين، مثل لاورا وخوسيه لويس، يعلموننا كيف تتشكّل المجتمعات المتنوعة ثقافيًا يومًا بعد يوم، في التفاصيل اليومية، وفي الممارسات المشتركة، وفي البحث الدائم عن مكان يشعرون فيه بالانتماء. وأن فهم الحقوق الثقافية وضمان الوصول إليها يشكّل، في نهاية المطاف، التزامًا بالعدالة والتنوع والكرامة الإنسانية.

في عام ٢٠٢٠، سعينا إلى التعمق في الظروف التي تواجهها النساء اللاجئات والمهاجرات عند الاستفادة من أماكن الترفيه وممارسة حقوقهن الثقافية. وفي ثلاثة لقاءات استماع نُظمت في المقاطعات الباسكية الثلاث، وأُطلق عليها اسم "IAGORATORIOS" — وهو تركيب يجمع بين كلمتي ágora و laboratorio — استخدمت اللاجئات والمهاجرات أصواتهن بوصفهن فاعلات سياسيات، بدل حصرهن في دور المتلقي الخاضع لسياسات أو إجراءات مصممة من قِبَل أطراف أخرى. وقد ناقشت ٧١ امرأة مهاجرة ولاجئة، ينحدرن من تجارب هجرة متنوعة، الأنشطة التي يستمتعن بها في أوقات فراغهن، والأماكن التي يمارسن فيها تلك الأنشطة (سواء كانت عامة أو خاصة)، وتجارب التفاعل الاجتماعي والترفيهي التي يخضنها مع السكان الباسك، وكيفية ممارستهن للثقافة أو مشاركتهن في فضاءات الإبداع الثقافي.

انطلاقاً من هذه التساؤلات، ناقشنا قضيتي الثقافة والترفيه باعتبارهما حقاً وأيضاً امتيازاً. كما بحثنا في الأدوات المتاحة لهن والعقبات التي تحول دون مشاركتهن في الأنشطة الترفيهية في بلداتنا ومدننا، بالإضافة إلى النقص في الفرص اللازمة لتعزيز مشاريع ثقافية يكن فيها صانعات رئيسيات، بدل الاكتفاء بتقدمهن في صورة تهدف فقط إلى إظهار الإدماج أو ما يسمى الرمزية.

وعلى الرغم من أن تجاربهن شخصية وغير قابلة للنقل، إلا أنها تتشابه أو تتقاطع في بعض الجوانب السياقية المشتركة، التي من خلالها أدركن أنهن جزء من مجموعة تواجه أشكالا مباشرة وغير مباشرة من التمييز التي تعرّضن لها نتيجة هويتهم الجندرية، سواء بسبب كونهن نساء أو مهاجرات، مما يؤثر بشكل كبير على مسار حياتهن في إقليم الباسك.

وقد كان من الضروري إجراء بحث مع المهاجرات واللاجئات أنفسهن، إلا أننا أدركنا خلال هذه العملية أن تأثير هذه التجارب يمتد أيضاً إلى القاصرين الذين يعيلونهن. وقد بدأ مناسباً طرح تساؤلات حول مدى إمكانية أبنائهن وبناتهن الملتحقين بالمدارس ممارسة أو الوصول إلى أنواع معينة من الأنشطة الثقافية أو فضاءات الترفيه. ومن هذا المنطلق، برزت أسئلة حول ما إذا كان الهجرة مع الأسرة أو الهجرة بشكل فردي تؤدي إلى فروق في ممارسة الحقوق الثقافية، بل وتجاوز ذلك إلى التساؤل عن تجارب الرجال المهاجرين الذين يعيشون هذه الظروف بمفردهم.

ومن الواضح أن العوائق المذكورة في كتيب "أدوات مكافحة إقصاء النساء المتنوعات ثقافياً وتعزيز مشاركتهن في الأنشطة الترفيهية وضمان حقوقهن الثقافية" لا تعمل كلُّ

على حدة، بل تتقاطع فيما بينها، مبرزة تمييزا مباشرا وغير مباشر مرتبنا أساساً بالنوع الاجتماعي والعنصرية والطبقية، متشابكة مع متغيرات أخرى مثل العمر واللغة. وقد أدركنا ضرورة مواصلة الغوص في أهمية التركيز على الحقوق الثقافية باعتبارها حقوقاً إنسانية، وكيف أن ممارستها - أو حرمان المهاجرين واللاجئين منها - ينعكس بعمق على حياتهم.

السياق والإطار القانوني:

يعتمد الإطار التشريعي للحقوق الثقافية، الذي يكتسب أهمية خاصة بالنسبة للاجئين والمهاجرين والأشخاص ذوي الخلفيات الثقافية المتنوعة، على المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان. ويُعد إعلان فريبورغ بشأن الحقوق الثقافية وثيقة محورية في هذا السياق، إذ يعزز مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والاتفاقيات الدولية للأمم المتحدة وإعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي. وتضمن هذه الحقوق لجميع الأفراد، بشكل شخصي وجماعي، إمكانية الولوج إلى الحياة الثقافية والمشاركة فيها، وكذلك الحفاظ على أطرهم الثقافية الخاصة وتعزيزها.

ويُحدد إعلان فريبورغ حقوقاً كالهوية والتراث الثقافي، وحرية اختيار المجتمع الثقافي دون تعرضٍ للاستيعاب القسري، والحق في الولوج إلى الحياة الثقافية والمشاركة فيها (بما في ذلك حرية استخدام اللغة التي يختارها الشخص وممارسة العادات الثقافية)، إضافة إلى الحق في التعليم والمعلومات الحرة والتعددية والتعاون الثقافي. كما يفرض الإعلان التزامات على الجهات الفاعلة في المجال الثقافي، سواء كانت عامة أو خاصة أو مدنية، لضمان احترام هذه الحقوق، خصوصاً بالنسبة للأشخاص المحرومين أو المنتمين إلى أقليات

وبالإضافة إلى ذلك، تُقر المادة ٥١ من العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتزامات ملزمة قانونياً للدول الأطراف، مع الاعتراف بحق كل شخص في المشاركة في الحياة الثقافية. وقد أوضحت لجنة الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أن هذا الحق يتضمن بعداً جماعياً، يشمل حرية كل فرد في اختيار هويته، والانتماء أو عدم الانتماء إلى جماعات، والتعبير عن نفسه بلغته الخاصة. ولا يقتصر العهد على مطالبة الدول بعدم انتهاك هذه الحقوق، بل يلزمها أيضاً باتخاذ إجراءات ملموسة، تشريعية وغير تشريعية، لضمان التمتع الكامل بهذا الحق لجميع الأشخاص، بمن فيهم المهاجرون.

أخيراً، يشدد تقرير عام ٢٠٢٣ الصادر عن المقررة الخاصة للأمم المتحدة في مجال الحقوق الثقافية، ألكسندرا زانثاكي، على ضرورة ضمان المساواة الفعلية في حماية

الحقوق الثقافية للمهاجرين، ويتناول العقبات التي يعاني منها الفنانون المهاجرون على وجه الخصوص. ويؤكد التقرير أنه رغم أولوية بعض الحقوق الملحة للمهاجرين، لا يمكن فصل حقوقهم الثقافية عن بقية احتياجاتهم، وأن انتهاكها قد يؤدي إلى أزمة هوية نتيجة فقدان الصلة ببيئتهم الثقافية الأصلية.

كما تشير المقررة إلى أن الهجرة ينجم عنها فقدان الأماكن والمجتمعات والموارد التي تؤثر في الرفاه والقدرة على الحفاظ على الممارسات الثقافية القيّمة. ورغم التحديات، فهي تبرز الآثار الإيجابية للهجرة على الديناميات الثقافية داخل المجتمعات المضيفة، حيث تشجع على إعادة تفسير المعاني والمعايير الثقافية، وتُسهم في تطور الثقافات من خلال دمج مرجعيات جديدة.

تقاطع أشكال التمييز:

خلال هذه العملية، حددنا العوائق التي تعيق ممارسة الحقوق الثقافية، مثل الحواجز الإدارية والبيروقراطية، ونقص المعلومات والاعتراف، والتمييز القائم على التحيزات الراقصة، والعنصرية البنيوية والرمزية، وغيرها من العوامل. وقد تمت مناقشة جميع هذه التحديات في جلسات نقاش متعددة، مما كشف عن عناصر تمييز هيكلية لا تكون واضحة دائماً ولا تحظى بمكانة مركزية ضمن برامج وسياسات استقبال اللاجئين والمهاجرين.

وفيما يلي، نشارككم أبرز أفكار المشاركين في ورشات البحث التشاركي مع اللاجئين والمهاجرين التي عُقدت في المقاطعات الثلاث.

الفتيات والفتيان والمراهقون اللاجئين والمهاجرون والمهمشون:

يقف المهاجرون واللاجئون، ولا سيما الفئات المهمشة منهم، على هامش المساحات المخصصة للمشاركة المدنية واتخاذ القرار. ومن أجل التعرّف إلى تجارب محددة، تحدثنا مع ستة مراهقين تتراوح أعمارهم بين ٢١ و ٦١ عاماً في باراكالدو، وقد حددوا عدة صعوبات تعيق ممارستهم لحقوقهم الثقافية، خاصة ما يتعلق بالترفيه والرياضة والولوج إلى أماكن التسلية. وتمثّلت أبرز هذه الصعوبات فيما يلي:

- **قلة وقت الفراغ:** يعد هذا السبب الرئيس الذي ذكره المراهقون لعدم قدرتهم على الاستمتاع بالأنشطة الترفيهية، وذلك بسبب عبء الدراسة. فقد أشار أحدهم إلى أنه يرتاد المدرسة في الساعة ٠٣:٨ صباحاً ويغادرها في ٠٣:٦١، لافتاً إلى أن

حجم الواجبات المدرسية (في اللغة والرياضيات واللغة الباسكية) يقلص أيضاً من وقت فراغه. كما ذكر معظمهم أنهم غالباً ما يشاركون في أنشطة لامدرسية، والتي تستنزف وقتهم أيضاً، وإن كان بعضها يُمارس بدافع المتعة.

التكلفة المادية: يمثل المال عاملاً حاسماً في القدرة على الولوج إلى أماكن الترفيه والثقافة، وللحصول عليه، يعتمد المراهقون كلياً تقريباً على أمهاتهم وآبائهم وأولياء أمورهم. وقد ذكر أحد المشاركين أنه يرغب في الذهاب إلى السينما، لكنه أضاف: “إنها مكلفة”. كما يعتمدون على أسرهم في النقل والمصاريف الضرورية الأخرى للذهاب إلى أماكن الترفيه، وكان هناك مشاركان فقط يحصلان على مصروف أسبوعي.

غياب البطاقات أو العضويات: عدم امتلاك بطاقات عضوية في المراكز الرياضية أو المكتبات يحدّ بشدة من إمكانية الدخول إلى هذه المرافق. فعلى سبيل المثال، أُشيرَ إلى أن كثيرين لا يستطيعون الذهاب للمسبح لعدة أيام خلال الصيف لأنهم لا يملكون بطاقة عضوية، ويكتفون بدفع رسوم الدخول اليومية عندما يكون الجو حاراً، لعدم توفر عضوية في المركز الرياضي. كما أن الذهاب إلى الشاطئ لا يبدو خياراً واقعياً، رغم إقامتهم على الساحل في بيسكابا وعلى بُعد نحو ٠١ كيلومترات من أقرب شاطئ، مع توفر النقل العام (الحافلة والمترو).

محدودية أو انعدام الولوج إلى بعض الأماكن:

- بعض أماكن الترفيه المهمة غير متاحة لهم بسبب صغر سنهم أو بسبب البعد الجغرافي.
- ذكروا على سبيل المثال أن ملعب كرة القدم الذي يرتادونه عادة «مغلق دائماً» ولا يُتاح للناس للعب فيه بحرية.
- وأن متحف غوغنهايم مكان يقصده الناس للاستمتاع، لكنهم لم يدخلوه قط.
- أنه للوصول إلى بعض المراكز الرياضية، يتعين عليهم قطع مسافات طويلة، مما يدفعهم إلى البحث عن “أماكن أخرى” خارج محيطهم المعتاد. وكان عدم معرفة كيفية الوصول “إلى بعض الأماكن” ثالث أكثر الأسباب شيوعاً التي تمنعهم من الاستمتاع بوقت الفراغ.
- أعربوا عن رغبتهم في الذهاب إلى قاعات الحفلات الموسيقية والمراقص، لكنهم لا يعرفون إن كان بإمكانهم دخولها (بسبب عامل السن أو التكلفة أو المسافة).
- الرحلات التي يتم تنظيمها عادة في سياق مدرسي ليست خياراً متاحاً بشكل اعتيادي للمشاركين في هذه المجموعة نظراً لتكلفتها.

يشير تقرير “تكلفة تربية الأطفال في عام ٢٠٢٤ في إقليم الباسك” الصادر عن منظمة Save the Children إلى نظرة مفصلة حول النفقات المرتبطة بتربية طفل أو طفلة،

مع التركيز على تأثير التضخم على الأسر، ورفع التكلفة الشهرية المتوسطة المُقدَّرة لكل طفل إلى ٦٦٨ يورو. وهذا يمثل زيادة بنسبة ٣١% مقارنة بعام ٢٠٢٠ (٩٦٧ يورو)، و٤٣% مقارنة بعام ٨١٠٢ (٥٤٦ يورو). كما أن ٤١% من الأسر في إقليم الباسك (٧٠٣,٩٢ أسرة) لا تستطيع تغطية هذه التكلفة حتى لو خصّصت كامل دخلها لها، بينما تواجه ٢٤% من الأسر (٥٧٦,٩٨ أسرة) صعوبات كبيرة، إذ تنفق أكثر من نصف دخلها المتاح على هذه النفقات. وتعد مرحلة المراهقة (٣١-٧١ عامًا) الأكثر تكلفةً، إذ قد تصل تكلفتها إلى ٥٢٩ يورو شهرياً، وقد ارتفعت نفقاتها بما يقارب ٠٢% منذ عام ٢٠٢٠.

ويؤكد التقرير أن تكلفة تربية الأطفال أصبحت تحدياً اقتصادياً متصاعداً للأسر في إقليم الباسك، خاصة الأسر الهشة، وأن السياسات العامة ينبغي أن تتكيف مع هذه المستجدات، مع إيلاء اهتمام خاص لاحتياجات المراهقين، لأنهم ينتمون إلى الفئة العمرية الأعلى تكلفةً. وفي هذه المرحلة، ترتفع النفقات الاستثنائية ارتفاعاً ملحوظاً، لتأتي في المرتبة الأولى جنباً إلى جنب مع تكلفة السكن، حيث تشكل ٧١% من التكلفة الإجمالية لتربية الأطفال. وتضم النفقات الاستثنائية: المصروف الأسبوعي، والرحلات، ومناسبات أعياد الميلاد، والحوادث الطارئة. كما يشير التقرير إلى أن ارتفاع الاحتياج المالي في مرحلة المراهقة يتعارض مع الانخفاض الواضح في تركيز السياسات الموجهة لدعم تربية الأطفال في هذه الفئة العمرية.

هناك إعانات مالية خاصة بالطفولة المبكرة، لا تركز على الجانب الثقافي، لكنها قابلة لإعادة التوجيه إذا جرى توسيعها لتشمل سنوات المراهقة. وتشمل هذه الإعانات المساعدات الشهرية لتربية الأبناء والبنات، والتي تبلغ حالياً ٠٠٢ يورو شهرياً حتى سن ثلاث سنوات، وقد تمثدت حتى سن سبع سنوات في عام ٨٢٠٢ وفقاً للمقترحات المعلنة. وتشير منظمات مثل Save the Children إلى أن هذه المساعدات لا تخفّف العبء المالي لتربية الأطفال في الفئات العمرية الأعلى تكلفةً (٧-٧١ عامًا)، وتطالب بتقديم إعانات عالمية أو شبه عالمية للأطفال حتى سن ٧١ عامًا.

ومن جهة أخرى، تمثل قسيمة الثقافة للشباب التي تقدمها حكومة الباسك، والمعروفة باسم Gazteentzako Kultura Bonua، منحة قدرها ٠٠٤ يورو للشباب عند بلوغهم سن الثامنة عشر، بهدف تعزيز الولوج إلى البرامج الثقافية، لكنها تنطبق فقط في سنة بلوغهم هذا العمر. وتنقسم القسيمة إلى ثلاث فئات: المنتجات الثقافية المادية (مثل الكتب والأقراص)، المنتجات الرقمية (منها الاشتراكات والموسيقى عبر الإنترنت)، الفنون الحية والتراث الثقافي والفنون السمعية البصرية (مثل المسرح والسينما والمتاحف). وهي قسيمة محدودة المدة وتستبعد المراهقين الذين، كما ذكروا خلال جلسة النقاش،

يفتقرون إلى القدرة الشرائية التي تمكنهم من الاستمتاع بالفضاءات الثقافية التي يتطلعون إليها.

الأسر الراجعة والمهاجرة:

شارك في الجلسات المختلفة التي نُظِّمَتْ في كلِّ من بيثكيا وغيبيونكو خمسُ أسرٍ إجماليًّا. ضُمَّتْ إحداها رجلًا وامرأة تتراوح أعمارهما بين ٥٤ و ٥٥ عامًا، وثلاثُ أسرٍ أحادية الوالد مسؤولة عن أطفال قاصرين (اثنان منهما لديهما أبناء مراهقون، والثالثة لديها طفلة صغيرة)، بالإضافة إلى أسرة تتكون من أب وأم وطفل قاصر.

وإلى جانب رصد العوائق التي تحول دون التمتع بالحقوق الثقافية، برز بوضوح العبء العاطفي الذي تتحمله الأمهات في الأسر أحادية الوالد أثناء مرافقة أبنائهن وبناتهن خلال هذه المسارات. كما أشارت المشاركات والمشاركون إلى أنه، رغم تعدد أشكال الدعم المتاحة في إقليم الباسك، فإن الاستفادة منها تقتضي التمتع بوضع قانوني منظم. وقد شاركت في حلقات النقاش أسرٌ تقيم في وضع إداري غير قانوني أو تمرّ بعمليات تسوية أوضاعها القانونية، وهي إجراءات غالبًا ما تكون طويلة ومرهقة. ويؤثر هذا الوضع القانوني للآباء والأمهات مباشرةً في حياة الأطفال والمراهقين المعالين منهم، بما في ذلك ممارستهم لحقوقهم الثقافية فحصول الأبناء على تسوية أوضاعهم الإدارية مرتبطٌ ارتباطاً مباشراً بوضع الوالدين، ما يجعل هذه العملية الطويلة والمعقدة سبباً في انتهاك مبدأ مصلحة الطفل الفضلى، وتشكل حاجزاً يحدّ من مشاركتهم في الحياة الثقافية والتعليمية والاجتماعية. وتبرز هذه الحقيقة الحاجة الماسّة إلى مراجعة سياسات الهجرة بما يضمن حماية الأطفال من التعرّض للإجراءات البيروقراطية التي تمسّ موهبهم ورفاههم.

كما جرى تحديد مجموعة من العوائق الأخرى، وهي:

- **العوائق المادية:** تقلص إمكانيات القيام بأنشطة عائلية، أو السفر، أو الاستمتاع بفعاليات ترفيهية مثل السينما والمنتزهات والرحلات، إذ يذهب معظم دخل الأسر لتغطية الاحتياجات الأساسية. ورغم ذلك، تحاول أغلب الأسر اللجوء إلى أنشطة مجانية وقريبة مثل ارتياد المنتزهات في الأحياء. **وتقول إحداهن: «لا مملك وسيلة للتنقل... حتى شراء المثلجات يُعدّ تكلفة.»**
- **اللغة، خاصة بالنسبة للأطفال:** على الرغم من الصعوبات اللغوية التي يواجهها جميع أفراد الأسرة، تبقى تجارب الأبناء في النظام التعليمي باللغة الباسكية الأكثر تعقيداً. **وتقول إحدى الأسر: «ابننا عمره ٨ سنوات... يتحدثون إليه بالباسكية. يحتاج دائماً إلى طفل آخر يترجم له.»**

- **ضيق الوقت المشترك:** يعمل العديد من الآباء والأمهات وفق جداول زمنية مرهقة أو غير متوافقة، وغالبًا ما يشغلون وظيفتين للحصول على دخل إضافي. يقول بعضهم: «لا وقت فراغ لدي، أعمل طوال الوقت». ويضيف آخرون: «نجد صعوبة في إيجاد وقت نستمتع فيه معًا».
- **ضعف الشبكة العائلية أو الداعمة:** على خلاف الصورة النمطية التي تفترض أن العيش مع الأسرة خلال الهجرة يضمن وجود رعاية مشتركة، فإن المسؤوليات تقع غالبًا على شخص واحد بسبب غياب أفراد الأسرة النواة، بخلاف وضعهم في بلدان الأصل. وتشكّل شبكات الدعم بين أفراد مجتمع المهاجرين استراتيجية شائعة لتعويض هذا النقص. كما يقول البعض: «الأشخاص هنا يصبحون عائلتك». وذكرت أسرة أخرى: «وجدنا عائلات فنزويلية أخرى جعلتنا نشعر وكأننا في وطننا».
- **الحوازر العاطفية:** تشمل هذه الحواجز الحاجة إلى فضاءات توفر الاحتواء والدعم للتعامل مع حزن الهجرة، وإدارة العبء العاطفي، إلى جانب أماكن للتأمل والحماية في مواجهة العنصرية. وفي هذا السياق تحديدًا، يبرز الطلب على فضاءات تدريب وتوعية تتيج الحديث عن التجارب المشتركة لجميع المهاجرين واللاجئين. فغياب هذه الفضاءات يعرقل التعبير عن المشاعر، خصوصًا أمام الأبناء. كما عبّرت إحدى الأمهات: «نُخفي دموعنا، لكن البكاء أمر مريح».

أماكن يصعب أو يستحيل الولوج إليها:

- **المطاعم والرحلات والعطلات العائلية:** عبّرت عدة أسر عن عجزها عن القيام برحلات تتجاوز زيارة المنتزه بسبب القيود المادية.
- **الأنشطة الثقافية المحلية (المهرجانات، الحفلات الموسيقية، المتاحف):** المشاركة محدودة أو معدومة نتيجة تكلفة النقل أو حاجز اللغة أو الشعور بعدم الترحيب.
- **الفضاءات التعليمية واللغوية:** تمثل بيئة التعليم باللغة الباسكية تحديًا خاصًا للأسر التي لديها أطفال، لاسيما البنات والبنين في المراحل الأولى.
- **الفضاءات الإدارية ومرافق الخدمات العامة:** يواجه العديد من المهاجرين أو اللاجئين صعوبات في فهم نماذج تقديم الطلبات، أو الحصول على المواعيد، أو إتمام الإجراءات. وتفاقم اللغة ونقص خدمات الوساطة سوء التفاعل مع المؤسسات.

رجال يعيشون على هامش الوحدة

شارك في ورش العمل وجلسات النقاش المختلفة ثلاثة وعشرون رجلًا، من بينهم ثلاثة عشر رجلًا بالغًا (تقريبًا بين ٩٢ و٥٠ عامًا) وعشرة شبّان. هاجر اثنان من هؤلاء الشباب

مع أسرهم، بينما وصل الآخرون إلى إقليم الباسك بمفردهم، بهدف تحسين الظروف الاقتصادية لأسرهم التي بقيت في بلدانهم الأصلية. وتُشكّل الوحدة العاطفية وهشاشة شبكات الدعم الوجداني، بما فيها الفرص المتاحة للترفيه واستثمار وقت الفراغ، عوامل تحدّ من قدرة هؤلاء الرجال على الاندماج الاجتماعي. وفي هذا السياق، طُرحت مسألة النظام الأبوي الذي يدفع الرجال إلى تبني أنماط من القسوة أو الانغلاق، الأمر الذي يجعل بناء شبكات للعلاقات العاطفية أو الاجتماعية أكثر تعقيداً. ويضاف إلى ذلك مجموعة من العوامل الأخرى المرتبطة بموقعهم داخل هذا النظام الأبوي، وبالتمييز والعنصرية التي يتعرضون لها، مما يفضي إلى ظهور حواجز إضافية، من أبرزها ما يلي:

- **العوائق الاقتصادية والعملية:** وظائف غير مستقرة وغير منتظمة، وأوقات عمل طويلة، تؤدي إلى ندرة الوقت المتاح للراحة أو الترفيه. وكما عبّر بعضهم: «جننا إلى هنا للعمل والنوم.» وقال آخرون: «لتغطية النفقات، علينا أن نعمل كثيراً.»
- **العوائق الاجتماعية المرتبطة بالتمييز المباشر وغير المباشر:** تُعدّ النظرات وطريقة المعاملة وانعدام الثقة والعنصرية القائمة على الجنسية أو لون البشرة من أبرز الأسباب التي تحول دون التمتع بالحقوق الثقافية. فهذه الأفعال الرمزية العنيفة، المتجذرة في المخيلة الاجتماعية، تؤدي إلى إقصائهم عن الفضاءات العامة المخصصة للترفيه، مثل الشواطئ والمكتبات والمقاهي. وكما قال أحدهم: «تسأل عن عنوان، فينظرون إليك وكأنك ستهاجمهم.» وأضاف آخر: «قالوا لنا في مليبية: لا نريدكم هنا.»
- **الولوج إلى فضاءات الترفيه والراحة:** ينحدر الكثير من المهاجرين واللّاجئين من مجتمعات يُنظر فيها إلى الراحة نظرة سلبية بسبب الظروف المعيشية الصعبة، فلا يشعرون بأحقّيتهم في «إضاعة الوقت». وقال بعضهم: «تعلمنا أن الترفيه نوع من الكسل.»
- **غياب الشبكات الاجتماعية والشعور بالوحدة:** تُعدّ العزلة التي يعيشها الرجال المهاجرون عاملاً حاسماً في إقصائهم اجتماعياً وعاطفياً، وهي مرتبطة بشكل مباشر بالأدوار الجندرية التي يفرضها النظام الأبوي.

أماكن يصعب أو يستحيل الولوج إليها:

- **الفضاءات الثقافية (المسارح والمتاحف والمراكز الثقافية):** يذكر العديد من الرجال أنهم لا يعرفون هذه الأماكن إلا «من الخارج»، كمثال متحف غوغنهايم.
- **أماكن الترفيه غير المرتبطة بالعمل:** يشعرون بصعوبة في المشاركة في الأنشطة الثقافية أو الترفيهية، لأنها في نظرهم أنشطة «غير منتجة». وكما عبّر بعضهم:

«جئنا إلى هنا للعمل والنوم.»

- الفضاءات المجتمعية المختلطة وأماكن التعايش المحلية: يعانون من نقص في الشبكات الاجتماعية، ويشعرون بأنهم خارج الفضاءات العامة التي ترتادها العائلات المحلية، وذلك بسبب التمييز والعنصرية والحاجز اللغوي.

النساء:

شارك في ورش العمل وجلسات النقاش خمس عشرة امرأة، معظمهن من البالغات، بالإضافة إلى ثلاث شابات. وقد حدّدن في البداية العوائق نفسها التي يواجهها الرجال والأسر بخصوص الولوج إلى الخدمات، لكن مع توجيه النقاش نحو قضايا النوع الاجتماعي، برزت تحديات أخرى، من بينها أعباء الرعاية الأسرية التي تتحملها النساء بشكل أساسي. وانطلاقاً من الوعي بهذه المعوقات، تم تحديد العوائق التالية:

- العوائق الاقتصادية: يُشكّل نقص الموارد المالية حاجزاً أساسياً يمنع النساء من الذهاب إلى المطاعم أو السفر أو المشاركة في الأنشطة الثقافية. فقد حُصّص جزء من دخلهن لدعم أسرهن في بلد المنشأ، إضافةً إلى تغطية النفقات الأساسية في البلد المضيف. وتشير النساء إلى أنّ تكاليف السكن والغذاء في ارتفاع مستمر. تقول إحداهن: «لم أتمكن بعد من حضور الحفلات الموسيقية أو الذهاب إلى المسرح... ليست لدي الإمكانيات.»
- اللغة والتواصل: تُعدّ صعوبة فهم اللغة الباسكية أو الإسبانية سريعاً أحد أبرز التحديات، إضافةً إلى الشعور بعدم الارتياح عند الانتقال بين اللغات: «أنتفهم أن يكون الحديث باللغة الباسكية، لكنني لا أتحدثها... من الصعب جداً أن تتحدث لغة مشتركة يفهمها الجميع ثم يخاطبوك بلغة لا تفهمها.»، تضيف إحداهن.
- التمييز والعنصرية: تعاني النساء من معاملة مختلفة بسبب لون البشرة أو اللهجة أو الجنسية أو النوع الاجتماعي. تذكر إحداهن: «تدخل متجراً وينظرون إليك كما لو أنك لن تستطيع شراء هذه الأحذية.»
- الوقت وعبء العمل المنزلي أو الوظيفي: تؤدي مسؤوليات العمل أو وظائف الرعاية التي تشغلها معظم النساء، إلى محدودية كبيرة في الوقت المتاح للترفيه أو الاعتناء بالذات. «ليس لدي سوى ساعتين من وقت الفراغ في الأسبوع.» «أعمل صباحاً ومساءً وليلاً، ليس لدي وقت.» .
- العوامل العاطفية والنفسية: تشير النساء إلى مستويات مرتفعة من الإجهاد والقلق والاكتئاب والشعور بالذنب والعزلة. تشير إحداهن: «عندما وصلت، انعزلت في المنزل بسبب الاكتئاب والتوتر.» ، «التوتر ناتج عن التمييز والحواجز الموجودة.» .

- **الصعوبات الثقافية وصعوبات التكيف:** تواجه النساء صدمة ثقافية وشعوراً بعدم الانتماء أو صعوبة في فهم الأعراف الاجتماعية. تعبر إحداهن قائلة: «نجد صعوبة في التكيف مع اللغة والطعام والموسيقى.»

أماكن يصعب الولوج إليها:

- دور السينما والمسارح والحفلات الموسيقية: تعرب النساء عن رغبتهن في حضور الحفلات الموسيقية أو الأنشطة الثقافية، إلا أنهن يمتنعن عن ذلك بسبب نقص الموارد المالية أو الخجل من عدم فهم اللغة.
- المطاعم وأماكن الترفيه الحضرية: تُصنّف هذه الأماكن بوصفها فضاءات مرغوبة لكن غير قابلة للوصول بالنسبة لهن: «نود الذهاب إلى مطعم، ولكن ليست لدينا الإمكانيات.»
- الحفلات الشعبية والفعاليات المحلية: تتجنب بعض النساء المشاركة فيها لشعورهن بأنهن خارج هذا السياق الاجتماعي أو لعدم فهم اللغة، «لا أفهم اللغة الباسكية» — في إشارة إلى استعمال هذه اللغة في الفعاليات الشعبية التي تقام في بلدتهن — «لا أشعر بأنني جزء من هذه الحفلات.»
- أماكن الرياضة أو النشاط البدني: تشير النساء إلى أن ضيق الوقت وأعباء الرعاية يقفان عقبة أمام الالتحاق بالصالات الرياضية أو الأنشطة البدنية. وعلى الرغم من أن أياً من المشاركات لا تعمل بنظام الإقامة الداخلية، فإنهن يذكرن أن الكثير من صديقاتهن يعملن في هذا النوع من الوظائف، الأمر الذي يلغي أي إمكانية لتوفر الوقت أو الظروف المناسبة للترفيه.

ما العمل؟ أدوات لمكافحة الإقصاء:

يتطلب الاعتراف بالحقوق الثقافية للمهاجرين واللاجئين وحمايتها اعتماد نهج شامل يجمع بين الإجراءات الفردية والجماعية، والمواطنة، والعمل التعاوني، إضافة إلى الأدوات المؤسسية والقانونية. ولا يقتصر هذا النهج على إزالة الحواجز الاقتصادية واللغوية والاجتماعية التي تعيق الوصول، بل يشمل أيضاً تغيير البنى الهيكلية التي تنتج الإقصاء واللامساواة.

وبعد أن قدّمنا في الفصول السابقة السياق الذي ننطلق منه، وما يحدث وأسبابه، إلى جانب الأفكار التي طُرحت خلال ورشات العمل المجتمعية التي نظمت في كل من بلدة دورانغو، أونياتي، تولوسا، باراكالدو ومجموعة أنانيا في ألاف، تأتي الخطوة التالية لتوضيح كيفية مواجهة العنصرية والتمييز في مجالي الترفيه والثقافة. وفيما يلي نعرض

مجموعة أدوات، قُدِّمت من قبل المشارِكات في IAGORAtorio. يمكن أن تسهم في تجاوز العوائق التي تحدُّ من مشاركتهن في التمتع بحقوقهن.

الأدوات الفردية

من بين أكثر الأدوات الفردية التي تكرر ذكرها خلال الجلسات: **ضرورة العناية بالرفاه العاطفي، وبناء روتين ترفيهي مشترك** وذلك لتعزيز التوازن بين العمل والحياة الشخصية والعائلية. ولتحقيق ذلك، يصبح من المهم إعادة تعريف مفهوم الترفيه ذاته، والتجاوز عن الفكرة التي تختزل القيمة الشخصية في العمل والإنتاجية. أما بالنسبة للأطفال، فيعيدون توظيف الوقت والأماكن المتاحة؛ فمثلاً ذُكر أنَّ الذهاب إلى السوبر ماركت يُنظر إليه كجزء من أوقات الفراغ، لأنه يمنحهم إحساسًا بالحصول على «ما يحتاجونه»، كما تشير غالبية النساء إلى ضرورة الاعتراف بالراحة والترفيه كحقوق، دون الشعور بالذنب، وذلك من منظور نسوي ينظر إلى هذه المساحات بوصفها وسيلة للتعامل مع ضغوط الهجرة والعزلة وتحمل أعباء الرعاية المفرطة.

ويبرز التعلُّم والتدريب الذاتي كاستراتيجية أساسية. فمع غياب أماكن مجانية لتعلم اللغة الباسكية، تلجأ النساء والبالغون عمومًا إلى الأدوات الرقمية أو إلى استعارة كتب مرجعية من المكتبات للتعرف على التاريخ والمعلومات الأساسية الخاصة بالبلدات التي يقطن بها، دعمًا لمسار الاندماج.

ويُعد العامل المادي من أبرز التحديات، كما سبق ذكره، ويحاول البالغون مواجهته عبر البحث عن أماكن عامة مجانية مثل الحدائق. وبما أنَّ الأطفال يعتمدون ماليًا على أهلهم، فإنهم يؤدِّون مهامًا منزلية أو يتولَّون التسوق مقابل مبلغ من المال، وأحيانًا يتلقون دعمًا ماليًا من إخوتهم أو أخواتهم «مقابل القيام ببعض المهام».

وتبرز الرياضة بدورها كوسيلة مهمة؛ فالكثيرون يمارسون النشاط البدني في الأماكن العامة، لكنهم يشددون على أهمية الوصول إلى المرافق الرياضية والثقافية. يدفع الأطفال أحيانًا مقابل الاستخدام العرضي لهذه المرافق، كما في حالة مسبح الصيف، حيث يزورونه في الأيام الحارة عن طريق دفع تذكرة يومية بدلًا من بطاقة اشتراك كاملة.

الأدوات الجماعية

يُعتبر الأصدقاء مصدرًا جوهريًا للدعم في الولوج إلى فضاءات الترفيه والثقافة والرياضة. ويؤكد معظم المشاركون على أهمية إنشاء شبكات دعم اجتماعي، خاصة أن بعض

الفتيات والفتيان والشباب يعيشون مع عائلاتهم، بينما يخوض آخرون تجربة الهجرة بمفردهم، ما يجعل تشكيل «عائلة جديدة» في البلد المضيف أمراً ضرورياً. ويمثّل المنزل فضاء مركزياً للترفيه والرفاه الاجتماعي—«بيتي بيتك»—لذا يكتسب ضمان الوصول إلى السكن أهمية خاصة كفضاء للراحة والمتعة.

كما طُرحت فكرة إنشاء فضاءات عائلية متعددة الثقافات (حدائق، ورش عمل، احتفالات، نزعات)، مع الإشارة في دونوستيا إلى مبادرة Kuadrilla Mundiala التي تشجع المهاجرين على المشاركة في احتفالات الأحياء المختلفة.

<https://irutxulo.hitza.eus/2025/09/12/kuadrilla-mundiala-jaieta-tik-denontzako-auzoa-eraikitze>

كذلك تُعد Koloire ١١ Euskal Herria مبادرة أهلية تهدف إلى تعزيز النقاش المجتمعي حول تنوع الأصول الثقافية في المجتمع الباسكي، والاحتفاء بهذا التنوع. تشارك في المبادرة شخصيات أكاديمية وثقافية واجتماعية وثقافية، وتسعى إلى بناء فضاءات للتلاقي والتعاون بين سكان الباسك من خلفيات مختلفة. ويطمح مشروع Koloire ١١ Euskal Herria إلى أن يكون منصة مفتوحة لفاعلين اجتماعيين ومؤسساتيين متعدّدين، بما يشجع على إنشاء فضاءات للقاء والتفاعل والتعاون بين السكان من مختلف الأصول، ويعزز المعرفة المتبادلة والاعتراف بالثقافات الأخرى والاحترام المتبادل.

<https://eh11koloire.eus/>

تبادل الخبرات بين العائلات المهاجرة والمحلية: يُنقذ مشروع Ongi etorri eskolara في مدارس ابتدائية عدة في جيبوثكوا، ويهدف إلى مرافقة المدارس في اعتماد نموذج تربوي متعدد الثقافات لتعزيز مدرسة ومجتمع شاملين، مع اعتبار اللغة الباسكية عنصراً أساسياً لتكافؤ الفرص بين الطلاب. ويتحقق ذلك من خلال تدخلات مع المعلمين والطلاب والعائلات، وخصوصاً عبر برنامج Familia Laguna، الذي يربط بين العائلات المهاجرة وعائلات باسكية لديها أطفال في العمر نفسه، مما يسمح بخلق علاقات قريبة توفر دعماً اجتماعياً وتربوياً. ويمتد أثر هذا النموذج إلى ما هو أبعد من المدرسة ليشمل الحي والمجتمع المحلي بأكمله.

<https://www.ongieterrieskolara.org/>

مجموعات من الرجال المهاجرين يناقشون نماذج ذكورية بديلة تُعنى بالرعاية وبناء الروابط المجتمعية: تعمل منظمة Munduko Medikak (أطباء العالم)

- إقليم الباسك) على تطوير مبادرات جماعية تُعنى بالتفكير في نماذج ذكورية متعددة تعنى بالرعاية وطرح نقاشات حول الذكورة المهيمنة وتشجيع ممارسات أكثر مساواة. ويرتبط المشروع بإحداث تغيير اجتماعي من خلال التشجيع على التفكير في الهوية الجندرية والعرق، وتقاطعهما مع محاور القمع الأخرى، باستخدام أدوات مثل الفن، والورش، والمواد التعليمية. ويتمثل الهدف في البناء المشترك وإبراز أصوات ذكورية غير مهيمنة يمكنها التأثير إيجاباً في النموذج الاجتماعي من خلال رؤى ثقافية متعددة.

<https://www.calameo.com/read/008052129ba25c6f84e7f>

شهدت السنوات الماضية انتشاًراً للأنشطة الرياضية والموسيقية والفنية التي توفر **فضاءات للتعبير الجماعي**. ومن أمثلة ذلك في بلباو: **Mundialito Antirracista**: فعالية رياضية وثقافية تُقام لتعزيز الاندماج الاجتماعي وخلق مساحة خالية من العنصرية، وتجمع بين مباريات كرة القدم وكرة السلة والأنشطة الموسيقية والمحاضرات والمأكولات والأسواق، ويشكل نقطة التقاء بين ثقافات مختلفة؛ مهرجان دامبا: مهرجان مناهض للعنصرية يعتمد على الموسيقى والرقص والفنون لخلق مساحة للتعبير وإبراز التنوع؛ مهرجان «شارك في مناهضة العنصرية»، حدث ثقافي وحقوقى أصبح فضاء للمقاومة النسوية والمناهضة للعنصرية؛ والمعروض الثقافي الإفريقي (AFRICARTE)، الذي يعرض الإنتاج الفني والثقافي الإفريقي ويعزّز حضور التنوع الثقافي في المدينة.

<https://www.instagram.com/mundialitoantirracista>

<https://www.instagram.com/dambafestival>

<https://sosracismo.eu/v-edicion-del-festival-comparte-antirracis-mo-una-jornada-de-musica-arte-y-resistencia-en-atxuri-bilbao/>
<https://afrikartebilbao.com>

إنشاء **مجموعات نسائية للتقاء وبناء الثقة وإعادة تشكيل الهوية**. تمت الإشارة أيضاً إلى أهمية إنشاء مجموعات نسائية تُعدّ فضاءات للقاء والثقة وإعادة بناء الهوية. ومن بين هذه المبادرات: Andragora في تولوسا، وهي مساحة اجتماعية وترفيهية تتيح لقاء نساء من خلفيات متعددة حول فنجان قهوة أو شاي. **Mujeres Migradas Emprendedoras** (النساء المهاجرات رائدات)، وهي أول جمعية في إقليم الباسك تجمع بين تقديم المقترحات، والعمل، وحل المشكلات في مجال ريادة الأعمال، وتضم حصرًا نساء مهاجرات يسعين إلى تعزيز حضورهن في الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في بيثكايا.

<https://www.andragora.eus/es/cafe-tertulia>

<https://mujeresmigradasempendedoras.org/>

تشمل أدوات المواطنة تشجيع المشاركة العائلية في الأنشطة البلدية—كالمدارس والمراكز المدنية وجمعيات الأحياء. وتُعد مبادرة Bizilagunak مثالاً بارزاً على ذلك. تقوم الفكرة على تشجيع اللقاء بين العائلات المختلفة المقيمة في البلدات من خلال وجبة طعام مشتركة؛ حيث تستضيف إحدى العائلات عائلة أخرى في منزلها، مما يخلق مساحة للتواصل بين سكان البلدات الأصليين والجيران القادمين من أصول أخرى. ومن خلال توفير أماكن للقاء والاحتفال لجميع السكان، تعزّز المبادرة قيم التعددية الثقافية والتنوع، وتُنشئ مساحات للتفاعل داخل المجتمع المحلي، مما يساهم في تحسين التعايش وتسهيل المشاركة والحد من التمييز، والاستفادة من إمكانيات التنوع من أجل تعزيز تغيير إيجابي في تصوّرات ومواقف وسلوكيات السكان.

المشاركة المجتمعية والثقافية بصوت فاعل: في أرابا، تُعدّ مجموعات التعايش المنُظّمة على مستوى البلدات أو المناطق المجاورة مثالاً على هذه المشاركة. تُتيح هذه المجموعات تقاسم الفضاءات بين المهاجرين والسكان المحليين، حيث يخلق التقارب روابط ملموسة ويُسهّم في إزالة الأحكام المسبقة. كما يسمح هذا التقارب بتدقّق المعلومات وتعزيز الاعتراف المتبادل بالثقافات، إضافةً إلى تحسين التنسيق الجماعي لتنفيذ الشائعات عبر بيانات واقعية وموثوقة، ووضع جدول أعمال مشترك يتضمن، على سبيل المثال، الذهاب جماعياً إلى الفضاءات العامة وتنظيم أنشطة ترفيهية مشتركة.

و غالباً ما تشارك هذه المجموعات في أنشطة تركز على تعزيز التفاعل بين الثقافات، كما هو الحال في مبادرة «BIZILAGUNAK» kanugalizib/sue.rahez//:sptth

أدوات الهيئات الاجتماعية والجمعيات

يُعدّ البحث عن الدعم لدى الكيانات الاجتماعية والأشخاص المعنيين أحد الأدوات الأساسية التي تم تحديدها. وفي هذا السياق، تم ذكر منظمات مثل **Save the Children** و **Giltzarri** بوصفها جهات تساهم في تسهيل الوصول إلى الترفيه والثقافة والرياضة. ففي **Giltzarri**، على سبيل المثال، يتم دعم الأطفال من الأسر المهاجرة في أداء واجباتهم المدرسية، كما يشكل هذا الفضاء مكاناً يمكنهم فيه لعب كرة القدم والبينيغ بونغ والالتقاء ببعضهم البعض. وفي حالة منظمة **Save the Children**، يشير الأطفال والمراهقون المشاركون إلى **مركز موارد الأطفال والمراهقين** التابع للمنظمة في **Cruces** في باراكالدو، والذي يقدم دعماً مدرسياً خلال العام الدراسي ويوفر

فضاءات شاملة للوقت الحر والترفيه، مما يسهم في تسهيل المشاركة والاندماج في المجتمع المحلي. كما تمت الإشارة إلى المخيمات الحضرية التي تنظمها المنظمة كل صيف باعتبارها فضاء أساسيا لممارسة الحق في الترفيه بشكل خاص، ولتتمتع بالحقوق الثقافية بشكل عام.

كما تم التأكيد على أهمية توطيد الفضاءات المعترف بها باعتبارها مرجعاً للمهاجرين واللاجئين، وبالتالي للأشخاص الذين يعانون من التمييز العنصري، وهي فضاءات تتيح تعزيز التعايش وبناء الشبكات التي تعمل كهيكل للدعم الاجتماعي. وتمت الإشارة كذلك إلى أهمية إعطاء الأولوية وتعزيز الفضاءات الآمنة غير المختلطة بهدف تدريب قادة وقائدات المجتمع المحلي، وتعزيز مشاركتهم السياسية والثقافية.

الأدوات المؤسسية

يستفيد الأطفال والمراهقون والشباب من التنقلات المدرسية والأنشطة التعليمية: إذ ذكرت بعض المشاركات أنهن يرتدن مراكز رياضية مختلفة لحضور دروس التربية البدنية وممارسة رياضات متعددة، رغم المسافات الطويلة التي يتعين قطعها، إلا أن التكاليف تغطي ضمن إطار الرياضة المدرسية. كما تُعدّ الأنشطة غير المدرسية جزءاً من أوقات الفراغ، وإن لم تكن جميعها مسلية لهم بالقدر نفسه، بالإضافة إلى الرحلات والأنشطة الجماعية مع زملائهم في الصف—مع الإشارة إلى أن التكلفة قد تشكل عائقاً في بعض الحالات.

وتبرز أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه السياسات العامة في تمكين الأطفال والمراهقين من ممارسة حقوقهم الثقافية، خاصة عندما يكونون قد عاشوا مباشرة أو شهدوا في أسرهم تجارب الهجرة. وقد يشكّل توسيع نطاق المساعدات الشهرية الحالية لتربية الأبناء فرقاً خاصاً بالنسبة للمراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين ٢١ و٧١ عاماً.

وفي هذا الصدد، من الضروري تصميم سياسات تشمل جميع اللاجئين والمهاجرين في أنشطة الترفيه والمشاركة، وألا تقتصر على قضايا التوظيف فقط، مع ضمان إمكانية الوصول اللغوي والثقافي في المدارس والمراكز الثقافية والمراكز الصحية.

كما تم التطرق إلى إنشاء برامج «الاستقبال الثقافي العائلي» التي تتيح الاطلاع على الحياة الاجتماعية والثقافية في البيئة المحيطة. ومن الأمثلة على ذلك في المدارس برنامج BHI Lagunberri de Bideberri في دونوستيا، الذي بدأ العمل به في العام الدراسي ٢٠٢٠/٢٠١٩. وفي مرحلته الأولى، يقدم البرنامج تعليم القراءة والكتابة باللغة الباسكية

أو الإسبانية حسب احتياجات الطلاب من أصول مختلفة، ويساعدهم على اكتساب اللغة إلى أقصى حد، ويدعمهم في المواد الدراسية الأساسية كي يتمكنوا من الوصول المتكافئ إلى التعليم النظامي. ويتم تنسيق العملية بأكملها مع الأسرة، إذ ينتقل بعض الطلاب من بلدات مختلفة في غيبوثكوا إلى دونوسيا. وقد أثبت البرنامج فعاليته في ضمان النجاح الدراسي للطلاب المشاركين، الذين يواصلون دراستهم حالياً في تخصصات تقنية ومقررات متنوعة.

كما تمت الإشارة إلى تعزيز فضاءات التفاعل الثقافي التي تشجع الرفاهية العاطفية. وعلى الرغم من أن معظم هذه المبادرات تقودها منظمات المجتمع المدني، إلا أنه ينبغي على الإدارة الحكومية إظهار التزام واضح بدعم هذا النوع من المبادرات. من الأمثلة البارزة على ذلك جمعية BaoBat للتطوع بين الثقافات في سانتورتسي (بيشكايا)، وهي مساحة تلتقي فيها أشخاص من خلفيات متعددة لتعزيز الترحيب والتعايش، وتقوية التضامن العاطفي والشعور بالانتماء بين الثقافات.

<https://asociacion-baobat.webnode.es/>

وتوفر جمعية Kolore Guztiak فصولاً للوساطة الاجتماعية بين الثقافات و«نقطة التقاء» للشباب المهاجرين في دونوسيا بهدف تعزيز فهم العاطفي والاجتماعي. كما تنظم ورشاً تدريبية في المراكز التعليمية لتعزيز التعرف على العواطف والروابط الثقافية منذ سن مبكرة.

<https://www.sargi.org/entidades/kolore-guztiak/>

كذلك تمت الإشارة إلى تدريب الموظفين الفنيين في مجال التنوع الثقافي والتعددية ومكافحة العنصرية، كما هو الحال في تجربة Kolore Guztiak المذكورة أعلاه في القطاع التعليمي.

استراتيجيات قانونية

- الاعتراف بحق الأطفال والمراهقين في الحصول على التعليم والترفيه في ظروف متساوية.
- ضمان تقديم المشورة القانونية المجانية في حالات التمييز التعليمي أو الثقافي. وتقوم كل من شبكة Red Eraberean — وهي شبكة للمساواة في المعاملة وعدم التمييز تدعمها الحكومة الباسكية — وArarteko بجمع المعلومات عن حالات التمييز (المباشر أو غير المباشر) في المعاملة أو في السلوكيات العنصرية، ومعالجتها عند الاقتضاء. وتقدم Red Eraberean قناة خاصة للإبلاغ عن مثل هذه الممارسات، بالإضافة إلى تقديم المشورة للمؤسسات والأخصائيين الاجتماعيين

بشأن تعزيز المساواة في المعاملة. كما يوفر Ararteko قناة للإبلاغ عن الحالات التي تتضمن معاملة تمييزية صادرة عن موظفين في الإدارات الحكومية.

<https://www.euskadi.eus/rederaberean>

<https://ararteko.eus/es>

- **دمج النهج الأسري في السياسات العامة المتعلقة بالثقافة والمساواة والهجرة.** ويُعدّ المنتدى الباسكي للهجرة واللجوء أحد الفضاءات الرئيسية في هذا الإطار، إذ يشكل هيئة جماعية متعددة الأطراف تُعنى بالاستشارة والمعلومات والمشورة، وتهدف إلى تطوير سياسة نشطة قائمة على الاندماج الاجتماعي وحقوق المهاجرين. ويشارك في المنتدى فاعلون من الإدارات الحكومية الباسكية، والجامعات، والمنظمات غير الحكومية، والجمعيات، والنقابات، والقطاع الخاص. ويمكن لمشاركة الكيانات الاجتماعية—سواء تلك التي تضم لاجئين أو مهاجرين، أو تلك التي تعمل على الدفاع عنهم—أن تؤثر على إدراج النهج الأسري داخل المنتدى، لا سيما في لجنة التعليم، ولجنة المشاركة المدنية والثقافة والتوعية، ولجنة اللغة الباسكية والتنوع اللغوي.
- <https://www.euskadi.eus/foro-migracion-asilo/>
- **نشر الحقوق الثقافية وحقوق المشاركة الاجتماعية في الإطارين القانونيين الإسباني والباسكي.**
- **ضمان المساواة في الوصول إلى التعليم والثقافة،** دون تمييز على أساس الجنسية أو الوضع الإداري.
- **نشر آليات الإبلاغ عن التمييز على أساس الأصل أو الجنس أو الدين؛** وتشكل شبكة Red Eraberean مرة أخرى أداة أساسية في هذا المجال.

أخيراً، نوّد تسليط الضوء على شخصية محورية في إزالة العقبات وتعزيز مشاركة المهاجرين واللاجئين في الأنشطة الثقافية، وهي الأشخاص المسؤولون عن مجالات المساواة والتعددية الثقافية على مستوى البلديات والمقاطعات. ويمكن لهؤلاء، من خلال مهامهم، تعزيز ما يلي:

أ) تدريب الموظفين في جميع أقسام الإدارة على اكتساب مهارات في إدارة التنوع الثقافي.

ب) الترويج لفضاءات المشاركة المدنية مثل لجان الاحتفالات وفضاءات التنسيق النسوية، وكذلك الأنشطة التي تعزز التعايش والتبادل مع اللاجئين والمهاجرين في بلدانهم ومقاطعاتهم.

ج) مراجعة وإعداد تقيييمات الأثر الجنساني للوائح والسياسات البلدية بهدف القضاء على التحيزات أو المعايير التي تنتج تمييزاً جنسائياً بين اللاجئين والمهاجرين.

د) تصميم برامج وخدمات خاصة لتسهيل الوصول إلى الحقوق الثقافية وتعزيزها على المستوى المحلي والإقليمي، وضمان الاعتراف بها داخل العرض الثقافي المتاح لجميع السكان.

وفي إطار مشروع Entretnejidas | Sareginak، تقدم Zehar-Errefuxiatuekin توصيات تهدف إلى اعتراف السياسات العامة والمؤسسات الثقافية بالروايات التي يكون أبطالها الأشخاص الذين عاشوا تجارب الهجرة، ولا سيما النساء، وتطرح مقترحات حول كيفية مرافقة هذه العملية وتوفير الموارد والأدوات الضرورية للتمتع بحقوقهم الثقافية الأساسية. sue.rahez.sadijetertne/

